مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد 11 / العـدد: 02 (2023)، ص: 1377-1400

مارسيل غوشيه من تفكيك سلطة الدين الى تفكيك سلطة وسائل الاعلام

Marcel Gauchet, Moves from the Decontruction of The power of Religion to the deconstruction of the Media

بوسرو السبتي [1]

[1]جامعة مولود معمري تيزي وزو قسم الفلسفة

bousserousebti@gmail.com

قايد سليمة [2]

[2] المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة,salima.gaid@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/05/29 تاريخ القبول: 2023/09/06 تاريخ النشر: 2023/10/06

ملخص: إن قراءة بسيطة لما تقدمه وسائل الإعلام التي أفرزتها الحداثة للإنسانية توحي للوهلة الأولى بالكثير من الفوائد التي صنعتها هذه الوسائل. لكن هذا التأثير الإيجابي لوسائل الإعلام ما لبث أن أثار حفيظة بعض العقول، و هنا بدأ اتجاه يطفو في الأفق يدعو لإعادة تقييم دور وسائل الإعلام، في الحياة الاجتماعية، فلم يعد أي شخص بإمكانه تجاهل مركزية هذا الجهاز. هذا التقييم اتخذ صورة نقدية، و فتح الباب للبحث في العلاقة القائمة بين وسائل الإعلام

و الرأي العام، و هذا الذي حاول (**المفكر السياسي الفرنسي مارسيل غوشيه**) تفكيكه، حيث يسميه "مجتمع وسائل الاعلام "، فوجدناه قارئا جيدا للسياسة، و قارئا بارعا للدين، كما توصلنا إلى أن هذه الوسائل تتجه بنا إلى مأزق أخلاقي يكشف هشاشة وعينا الجمعي. الأمر الذي يفترض عليها الالتزام بالصدق في القول والموضوعية واحترام خصوصية الأفراد. و ذلك سبيلها لتجاوز الزيف في نقل الحقيقة و ابتعادها عن تنميط العقول و صنع ثقافتها.

الكلمات المفتاحية : وسائل الاعلام ، الدين، السياسة، مارسيل غوشيه، التفكيك .

Abstract: A simple look at the information present mass media provide , as a direct outcom e of actual social life daily needs, to humanity reveals as much positive effects as negative ones.This matter led many analysts to question the claim of totally positive stand of the media .In fact many analysts began calling for critically rethinking that role and relationship especially in fashioning public opinion so as to safeguard individuals freedom ,rights and differences as well as achieve objectivity and truthfulness in provinding news to the public, the lonely means to avoid fake news and help in spreading social education and cultural preservation .We actually dicussed this matter with the french political analyst and philosopher Mr Gauchier who rightly labels the matter as' the mass media public',he certainly emphacizes the negative role the media has come to play leading society to moral disintegration ,which itself is a proof of the precarity of our collective consciousness.As a matter of fact such a gloomy perspective leads us to call for rethinking, if not redirecting, the role of mass media to provide only real news and preserve diversity of public opinion ,cultures and right to being different.

Key Words: Mass Media, religion, politics, Marcel Gauchier, disintegration

المؤلف: بوسرو السبتي وقايد سليمة

1. مقدمة:

لا يختلف اثنان في أن عالمنا المعاصر يحمل الكثير من الفوائد التي انتجتها الميديا للإنسانية. فتكفي مشاهدة ما يقدمه العالم الافتراضي من تواصل وحوار و تبادل الأراء بين الأفراد على اختلاف بيئاتهم و لغاتهم. فكانت بذلك ثورة الميديا نعمة على المجتمع المعاصر، خاصة و أنها سمحت لكل طرف بعرض هويته ونشر

أفكاره دون عوائق تذكر، فقد دخلت لبيوتنا و مدارسنا وشوارعنا دون استئذان، إنها تتدفق علينا وتغمرنا في مختلف الوضعيات .

و تبعا لذلك، نجد أنفسنا مدفوعين إلى إعادة تقييم دورها في الحياة الاجتماعية.

لكن السطوة التي باتت تمارسها الميديا على حياتنا الاجتماعية اليوم تتطلب منا البدء بتقييمها من وجهة نظر نقدية، و عليه سنحت العلاقة بين وسائل الإعلام المشكلة للميديا والرأي العام الفرصة لإثارة مجموعة من التساؤلات ظلت بعضها دون إجابة لحد الساعة. حيث كان ينظر لهذه الوسائل في ما مضى على أنها معيار الشرعية لكل الفاعلين الاجتماعيين و لكل الأشكال التي تتناول الكلمة، من استطلاعات الرأي، و تظاهرات، و نقاش تلفزيوني، فمجالات انتخابية، إذ لا توجد اليوم خطابات جدية، حول المجتمع كما نعرفه، من دون تقييم الوظيفة التي تشغلها وسائل الإعلام داخله. الأمر الذي يجعلنا ندخل في عصر سوسيولوجي جديد.

فيكون بحثنا، والحالة هذه سيستند على التطورات التي شهدها العصر الحالي، والذي يمكن توصيفه دون تردد بوصف "**عصر الإعلام والاتصال** ". متجاوزا بذلك الأطروحات الكلاسيكية للفلسفة ذات البعد النظري المجرد. وتكمن أهمية دراسة الميديا كقوة لها تأثيرها على الواقع الاجتماعي والسياسي، وعلى وعي الانسان خصوصا، ومن زاوية أخرى بالنظر لحداثة الموضوع

و ارتباطه باليومي المفكر فيه. و قد سعينا للبحث في طبيعة سلطة وسائل الإعلام، وكيف تتفوق على باقي السلطات في قولبة المجتمع وهو موضوع سبقنا بالبحث فيه كثير من الفلاسفة المعاصرين، مثل برنار هنري ليفي -Bernard (Henri Lévy) وجان ماري بُونْوا (Jean Mary Benoist)(1942) وأندريه غلوكسمان (André Glucksmann)(1937) وادغار موران Edgar

Morin(1921) كما برز كذلك مارسيل غوشيه(Marcel Gauchet) (1946-؟) * ليدلي بدوله في مثل هكذا موضوعات تستشكل اليومي و تأثيراته. وفق منهج تفكيكي ركز فيه على طبيعة السلطة التي تمثلها و سائل الاعلام.و هذا ما يجرنا لطرح الاشكالية التالية: **إلى أين يأخذنا مجتمع وسائل الإعلام حسب وجهة نظر مارسيل غوشيه ؟ وهل هذا التحول الكبير الذي تعرفه، وتسوقه لنا هذه الوسائل في صالح الانسانية ؟**

2. غوشيه مفكرا في السياسة

للإجابة عن هذه الأسئلة التي اشتغل عليها الفكر المعاصر، رأينا أنه بإمكاننا التفكير مع أحد الفلاسفة الفرنسيين وهو مارسيل غوشيه، والذي عرف عنه تنوع مجالات بحثه، فكانت دراساته للطبائع البشرية والبنى الثقافية والوجدانية للجماعات البشرية في سياقات تراعي التغير الدائم والمستمر للإنسانية. وهو اهتمام هدف به فهم وتفكيك مشكلات الزمن الراهن، حيث بدأ تفكيره بجد في خلق أنماط تأملية مركبة، أين عمل على تتبع دقيق لمراحل تشكل الوعي البشري واشكاله، الأمر الذي جعله أحد منارات الفكر السياسي المعاصر. فقد تكوّن غوشيه سياسيا بمعية أستاذه المفكر الفرنسي المعاصر كلود لوفار(Claude Lefort)(1924-2010)الذي اعتبره أفضل عون له في مساره السياسي، غير أن هذا التأثير لم يقتصر على السياسة بل تعداه ليشمل الفكر و الفلسفة. وفي

---

*مارسيل غوشيه فيلسوف و أنتربولوجي فرنسي معاصر (1946-؟) عمل في التدريس ،كما انخرط في العمل النقابي

و هو في سن مبكرة، مما مكنه من التعرف على الأجواء السياسية ، نال ثلاث شهادات عليا في الوقت نفسه، في الفلسفة والتاريخ وعلم الاجتماع ،انظم عام (1968)إلى حركة الطلبة و التي سميت بثورة الطلاب، ورأى في تلك الأحداث تعبيراً عما كان يفكر فيه. بدأ مفكرا في السياسة ثم اشتغل على علاقتها بالدين ، عرف عنه أطروحة **الخروج من الدين**، من مؤلفاته : "**فك السحر عن العالم: التاريخ السياسي للدين**" (1985)، و" **الدين في الديمقراطية**" (1998)، و"**الشرط السياسي**" (2005)، و" **من أجل فلسفة سياسية للتربية**" (2013).

مارسيل غوشيه من تفكيك سلطة الدين الى تفكيك سلطة وسائل الاعلام

هذا يقول غوشيه «إنني مدين له(أستاذه) بذلك التوجه (يقصد توجهه السياسي) . » (محمد مخلوف،2023 مقال إلكتروني) ، كما يبرز تأثير الأستاذ على تلميذه في نقاشاته حول الديمقراطية فكتاب " **الإبداع الديمقراطي**" للوفور، مهد له الطريق مباشرة لتفكيك هذا المفهوم، أين اعتبرها إحدى أهم أولوياته و في ذلك كتب أيضا " **نشأة الديمقراطية** "، " **الدين و الديمقراطية** "، "**رجل السياسة والمؤسسة الاجتماعية**"

بالإضافة إلى " **الديمقراطية ضد نفسها**"، وقد قدّر لغوشيه بعبقريته الفكرية الفذة أن يضاهي كبار المفكرين الذين سبقوه مثل ماركس وأنجلز ودوركهايم وماكس فيبر، وأن يتجاوزهم بالتجديد في مختلف الطروحات الفكرية التي قدموها في السياسية والاجتماع. واستطاع في نهاية الأمر أن يبلور أكثر النظريات الفكرية والفلسفية تألقا وشمولا في العصر الحالي على شاكلة **نزع السحر عن العالم**، فقد كان دائم الحضور في عصره إنتاجا وإبداعا، إذ لم تستطع أية قضية فكرية أو اجتماعية أن تفلت من قبضته النقدية أو من إضاءاته الإبداعية، التي أنارت دروب المفكرين والباحثين، فكتب مقالات في الفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع والسياسة والفن والأدب. وكان يستهدف وضع برنامج لعلم موحد خاص بالإنسان يتكون من علوم اللغة واللاوعي والتاريخ، منذ ذلك الحين لم يعد برنامجه الفكري منحصراً في نقد الحداثة وانما تكرّس لفهم صيرورتها ومستقبلها، كما وجب التنبيه إلى أن غوشيه تأثر بعدد من المفكرين الكبار أمثال: ماكس فيبر وماركس والكسيس توتوكفيل و ريمون ارون و بيير كلاستير، مما مكنه من أن يتشكل كمفكرا نقدياً عمل على إعادة صياغة الفكر الفلسفي والاجتماعي على نحو إبداعي، هذا من جهة، ومن جهة أخرى عمل على تفكيك الظواهر الاجتماعية وتحليل بنيتها بطريقة أخّاذة ساحرة. فألف في ذلك كتبه " اللاوعي الدماغي (1992)"و" ثورة حقوق الانسان (1989) "

و " **الحالة التاريخية** (2003)" كما يظهر تكوينه السياسي في انتماءه إلى حركة 1968 التي عرفتها فرنسا في تلك الفترة وسميت بـ"ثورة الطلبة". والذي كشف عنه سنة 1971، في مقال له حول الديمقراطية عنونه، **رجل السياسة والمؤسسة الاجتماعية**، و قد ارتكز اهتمامه في الفلسفة السياسية على العلاقات التي تحكم عمل السياسيين في بلد يعلن تبنيه للنظام الديمقراطي. بالإضافة للميل الشديد لمارسيل غوشيه نحو السياسة، يظهر كذلك ارتباطه بالدين، فهو ينحدر من أسرة ريفية، تدين بالمسيحية الكاثوليكية. مما ساعده على تفكيك تاريخ الدين و ارتباطه بالسياسة خاصة بعد إعلان فرنسا ميلاد الجمهورية العلمانية، أين عمد على البحث التاريخي في علاقة الدين بالسياسة فأنتج مقاربة أطلق عليها اسم " **الخروج من الدين** **"** والتي عبّر عنها في كتابه " **الدين في الديمقراطية** "، لكنه لا يقصد بذلك التخلي عن المعتقد الديني، و إنما الخروج من عالم يكون الدين فيه بحد ذاته منظما بنيويا، يوجه الشكل السياسي للمجتمعات و يعيّن البنية الاقتصادية للرباط الاجتماعي . (مارسيل غوشيه، 2007 ص27) وهكذا تتجه مقاربة غوشيه في الخروج من الدين لتعني الانتقال نحو عالم يستمر فيه وجود الأديان، في صورة شكل سياسي وتنظيم جماعي. كما يفيد أيضا في عدم مناهضة الدين من حيث الجوهر، إنه، بكل بساطة يطلب من المؤمنين أن يحتفظوا بإيمانهم الشخصي بالخلاص للعالم الآخر، وأن يدخلوا اللعبة المشتركة للاستقلالية عن الدين في هذا العالم المعاصر. هذا الخروج من الدّين كان يعني عند غوشيه « المرور من مجتمع خاضع منظّم بواسطة الدّين إلى مجتمع مستقلّ يستمد من ذاته قانونه. » (مارسيل غوشيه، 2015، ص 3) وكأن لسان حاله يقول إن الله لا شأن له بما يدور في الأرض، ولا ينبغي له ذلك؛ وهذا المعنى هو بالضبط الذي حملته فكرة موت الإله عند نيتشه. كما يُعبِّر مفهوم " الخروج من الدين " عن حدث بارز يتمثل في ظهور الدولة الحديثة. كما

يشير غوشيه إلى أن هذا التحول ليس حدثا وقع وولى، بل هو سيرورة لازالت مستمرة إلى اليوم، ذلك أن الحضور الديني في طريق التراجع والاضمحلال . مما يؤدي إلى انهيار صرح العبادات المنتظم وتناقص العظات الدينية والإرشادات الربانية. فالخروج من الدين الذي يؤسس له غوشيه جعل المعتقد مسألة شخصية محضة، لا تخص سوى الفرد نفسه، فهو وحده الذي له القدرة على تدبيرها وتنظيمها. فتاريخ الدين بحسبه هو تاريخ الحرية، و التي قد اكتملت عندما أصبح الدين في مستوى دين الخروج من الدين. هذا الاهتمام بالبحث في الدين و السياسة لم يغني مارسيل غوشيه لتوسيع دائرة اهتماماته لتشمل يوميات الإنسان خاصة و أنه يعيش في عصر سيطرت عليه الصور مما دفعه لدراسة الميديا و تأثيراتها، فكان لسانه قويا كقوته في تفكيك المتعالي. ويعتبر فهم سيرورة الخروج من الدين مفتاحا لفك رموز كل التغيرات الكبيرة التي شهدها العالم في مرحلة الحداثة وما بعدها. فإذا ما أمعنا النظر في هذه الحقبة التي أراد غوشيه تسليط الضوء عليها نجد أنها حقبة لا يمكن فهمها إلا بالرجوع إلى ما فات من أحداث تاريخية فعلت فعلها فيها، وأحدثت تغيرات مفاهيمية ذات وطأة كبيرة، وذات تأثيرات بارزة قلبت بنية العالم رأسا على عقب.

1.3.غوشيه مفكرا في الميديا

لقد كان لثورة الميديا الحالية أثرها على العقل الفلسفي الفرنسي المعاصر أين، جرّت الكل لتفكيك ما جادت به من اثار على الجماهير، و من هؤلاء مارسيل غوشيه، غير أن من يقرأ للرجل لا يعثر بسهولة على مقولاته في الميديا، فقد كان يميل للأنثروبولوجيا و التاريخ و السياسة اكثر من ميله لعالم الميديا، و مع ذلك فقد خصص لها عددين من مجلة " النقاش " التي كان يشرف عليها، فكر من خلالها في الميديا، إذ لم نعثر له على كتب بعينها حول الموضوع بقدر ما نجد له محاضرات متنوعة فيها، و كذلك حوارات له في هذا الشأن، فهو القائل،« إننا

مدفوعون إلى إعادة تقييم دور وسائل الإعلام، في الحياة الاجتماعية، التي لم يعد أي شخص يستطيع تجاهل أنها أصبحت جهازاً مركزياً . » (مارسيل غوشيه،2006، ص 24)

الأمر الذي يجعل التفكير في وسائل الإعلام حاجة اجتماعية فرضتها العولمة، خاصة أن المجتمع وجد نفسه منساقا وراء أجهزة قولبت له مسار حياته كلها، كما جعلت وجوده مرهونا بها، أين غابت اليوم الخطابات الجدية في هكذا مجال، وعليه بات من الضروري تقييم الدور الذي تشغله وسائل الإعلام داخل المجتمع، و هو ما قام به غوشيه ضمن مقولته الشهيرة " **مجتمع وسائل الإعلام**"، التي اعتمدها بدلا من المفاهيم المنتشرة في الوقت الراهن ك"مجتمع الإعلام "

و كذلك " **مجتمع التواصل**" " و " **مجتمع الشبكات** "، و قد وسّع هذا المفهوم ليشمل تقنيات (تكنولوجيات) الإعلام والتواصل. و مع ذلك تبقى فكرة وسائل الإعلام، فكرة حديثة في استخدامها الشائع، إذ تم اكتشافها بالخصوص مع التلفاز، ففي تصوره « هو مدلول علمي انتشر في الاستخدام الشائع بمقتضى ظاهرة محددة توافقت مع مرحلة ما، من حياة وسائل الإعلام.... إنها ظاهرة مدهشة جداً فرضت نفسها في الحياة الاجتماعية. و هذا التكامل لمختلف وسائل الإعلام الذي تعيشه اليوم فيما بينها، يمتلك اليوم أداته التقنية، فمع الأنترنت الذي أدخل كامل الكتابات، والصور، والأصوات، في العلبة نفسها والمسار نفسه مع تأثيرات ينبغي استنطاقها. » (مارسيل غوشيه،2006، ص 21) وهذا المفهوم "مجتمع الإعلام " بحسب غوشيه يميل إلى تحرير الذهن من هذه المدلولات، فقد أنتج ثقافة جديدة للصورة، التي اقتفت أثر عالم التلفزة، سواء تعلق الأمر بثقافة المشاهد أو الثقافة المجّانية، أو ثقافة التجاور ذات الصلة بالسياسة. الأمر الذي يجعلها بمثابة سلطة جديدة تتجلى من خلال تأثيراتها المختلفة لكنها تمارس على نحو غير رسمي. هذه الوسائل بزغ نجمها مع حداثة أقامت فلسفتها على اليقين

انطلاقا من مقولة أن الإنسان يعرف كل شيء، وعلى كون العلم - التفكير العلمي - بإمكانه أن يحدد ما وجب علينا اعتباره حقيقيا.

2.3. غوشيه ومراحل ظهور وسائل الاعلام :

مرت وسائل الإعلام والاتصال بالعديد من المراحل التاريخية المختلفة، بداية من عصر الاتصال غير اللفظي، الذي كرسته الرسوم والرموز المشكلة لمختلف الحضارات الإنسانية المتعاقبة، إلى عصر اللغة والإنسان الناطق، ثم مرحلة ظهور الطباعة وبداية مرحلة الإعلام والاتصال المكتوب بكل أشكاله، ثم جاءت مرحلة ظهور مختلف وسائل الإعلام والاتصال التقليدية مثل الإذاعة والسينما والتلفزيون والهاتف والفاكس ...، وأخيرا مرحلة الميديا الجديدة وظهور شبكة الأنترنت والاتصال الرقمي ووسائطه المختلفة. غير أن مارسيل غوشيه يحدد لنا ثلاث مراحل مرت بهما وسائل الإعلام فيقول « ثمة مرحلتان طويلتان لدراسة وسائل الإعلام والتفكر فيها، ونحن نعيش اليوم في مرحلة ثالثة. عبّرت الأولى عن زمن الشمولية، إذ عملت على فرض الدعاية التي تلت الحرب العالمية الأولى، بينما ركزت المرحلة الثانية على قدرة تأثير وسائل الإعلام باعتبارها أداة اجتماعية في خدمة الديمقراطية، امتدت بين السنوات 1970-1980 التي توافق دخول الديمقراطية في الأعراف الاجتماعية، أما المرحلة الحالية (الثالثة) و هي التي بدأت سنة 1970مع ثورة القرنفل، في البرتغال، والتي وضعت حداً للديكتاتوريات في جنوب أوروبا. وامتدت إلى أمريكا اللاتينية حيث أطاحت بالأنظمة العسكرية ووصلت إلى بلدان الإشتراكية الحقيقية في أوروبا مع التأثيرات التي نعرفها . » (مارسيل غوشيه،،2006 ص 21) .

و إذا ما رجعنا إلى القرن العشرين الذي عرف ثورة تقنية أشرقت فيها شمس التلفاز، إذ عرفت البشرية فيه عهدا جديدا هو عهد الصورة بامتياز ، الذي كتب فيه الفرنسي رجيس دوبري Régis Debray (1940 -؟) كتابه العمدة

،**حياة الصورة وموتها**، وقد غاص من خلاله في أتون وتلافيف الصّورة بمرجعيتها التيولوجية والفلسفية، معتبرا أنّ العالم اليوم أصبح بصريا. فكان له موقفا سلبيا من وسائل الاعلام جعله يعزف عن قراءة الجرائد، باستثناء صحيفتين هما، **لاكروا**، و، **لوموند ديبلوماتيك**. كما كان ينظر لنشرات الأخبار التلفزيونية على أنها لم تعد تحمل ما يمكن أن يكون مفيداً لنا في عصر العولمة. و هنا يصرح، فقد أصبح العالم ما بعد الحداثي، عالم شره إعلاميا وذلك للانتشار الفاحش لوسائل الإعلام والاتصال ومن بينها التلفزيون ولكن حضور الصورة ليس معناه أننا أمام جسد العالم، وإنما أمام بديل متخيل له إذ أننا بدلا من رؤية الأشياء نرى صورا ورسوما، لا تكتسب مصداقيتها من تمثيلها للعالم الفعلي. و إنما من أثرها السحري الذي يتنامى في إطار ثقافة النظرة التي تقوم على موضوعات افتراضية خالية من كل ذاتية، على هذا النحو يمكن للآخر أن يختفي تماما . (محمد الكردي العدد 62، ص 249)، وهي نظرة سلبية ترى أن وسائل الإعلام لا تعبر عما هو موجود في الواقع بقدر ما تسوق لواقع مفترض موجه لأغراض محددة . و بالعودة لمجتمع وسائل الإعلام الذي حلله غوشيه، فإنه يعتبر فيه، الأنترنت الدامج الذي يقفل نسق وسائل الإعلام على ذاته

بفضل ربطه الصورة و الكتابة والصوت في مستند وحيد، فهو يسمح بالانتقال من ميدان إلى آخر دون أدنى صعوبة، ولكنه في الوقت نفسه يدخل انقلاباً في موازين القوى بين المرسل والمتلقي، كما يفتح فضاء البرمجة الذاتية، و يوفّر لمستخدميه إمكانية تجنب كل ما لا يجيدون أنفسهم فيه واللقاء حصرياً مع أشباههم. (مارسيل غوشيه،2006، ص ص 25-26بتصرف)

و هي شهادة تثبت مدى التأثير الذي أصبح يمارسه الأنترنت على الجميع فروابطه و شبكاته للتواصل وضعت جسورا لإقامة علاقات بين الافراد. و في سياق تعمقه في ثنايا جهاز مجتمع الإعلام، يصف غوشيه نشاطه بكونه يحمل

نوعا من « التناغم السري » الذي يشبه ما نعرفه في إيديولوجيات حقوق الإنسان، ذلك أنه يتم في الحالتين استخدام «نفس الوقود» و هو الانفعال ، إذ يعمدان في النهاية إلى التقليل من «التعبئة» الفكرية والسياسية لدى الجماهير . بيد أن هذا الواقع برأيه ليس نهائيا، إذ يمكن أن يطفح الكيل لدى الجمهور ويرفض التصنيفات غير المفهومة. في مقابل تصور غوشيه تستوقفنا إجابة قدمها الألماني هابرماس حول سؤال يتعلق بالأنترنت و ما إذا كان بإمكانه القضاء على الفضاء العامّ، فكان جوابه بالإيجاب معتبراً أنّ صورة المثقّف، بدءاً من هاينرش هاينه (Heinrich Heine)(1797 - 1856)

اكتست مقامها بفضل الفضاء العامّ بصورته الكلاسيكيّة. في حين تغيّرت البنية التحتيّة لهذا الفضاء، وإنّ حافظت على نفسها في بلدان مثل إسبانيا وفرنسا وألمانيا . (رفيف رضا صيداوي 2023، موقع إلكتروني)، لكنْ حتّى في هذه البلدان، فإنّ الأثر التفتيتيّ الذي أحدثه الإنترنت غيَّر دَور الميديا الكلاسيكيّة، لاسيّما في عيون الأجيال الجديدة. ومع ذلك، وقبل أن تبدأ الاتّجاهات التفتيتيّة للميديا الجديدة بمُمارسة تأثيرها، فإنّ تحلُّل الفضاء العامّ كان قد بدأ مع سَلْعَنَة الاهتمام العمومي. و مثالٌ ذلك الولايات المتّحدة التي هَيمن فيها التلفزيون الخاصّ. فحسب هابرماس، تُمارِس الميديا الجديدة اليوم شكلاً من السلْعَنة أكثر خُبثاً، حيث إنّ الهدف يُطال اهتمام المُستهلِكين بشكلٍ مُباشر، لا بل إنه يصل إلى حد الاستغلال الاقتصادي لملفّات مُستخدمي الأنترنت إذ تتمّ سرقة المُعطيات الخاصّة بالمُستهلكين من أجل التأثير فيها أو التلاعب بها، ويتمّ ذلك أحياناً حتّى من أجل غايات سياسيّة قليلاً ما يتمّ الاعتراف بها . (رفيف رضا الصيداوي، 2023، موقع إلكتروني). هذه الثورة في وسائل الإعلام و التي يتحدث عنها هابرماس تحيلنا إلى تفكيك تأثيراتها سياسيا و ثقافيا، و واقعيا، انطلاقا مما قدمه مارسيل غوشيه في قراءته لتأثيرات مجتمع الإعلام .

3.3 وسائل الاعلام صناعة سياسية :

تعد وسائل الإعلام بمختلف صورها من، صحافة، سواء أكانت مكتوبة أو مسموعة أو مرئية، من أهم القنوات التي تبثّ وتنشر المعلومات والآراء والمواقف المتبادلة بين هرم السلطة من حكام والرعية، إذ أن المناقشات والمواقف الخاصة حول المسائل السياسية تأخذ مؤشراتها انطلاقا من ذلك العرض الذي تقدمه هذه الوسائل لهذه المسائل، فهي إلى جانب تأثيرها على الآراء السياسية للفرد تؤثر في الطريقة التي تدار بها السياسة. خاصة بعد التطور الاتصالي المتسارع وما أنتجته الثورة التكنولوجية من وسائل ووسائط ذكية ومتعددة. فقد أصبحت العلاقة بين الإعلام والسياسة تلازمية تقوم على تبادل الأدوار وتكاملها، وهو ما جعل هذه الوسائل تؤثر فعليا وبتشكيل مباشر أو غير مباشر في المشهد السياسي، فتختار الرؤساء من بين مجموع المترشحين، بتشكيل رؤية موحدة لدى الجماهير نحو شخصيات معينة. و هذا ما يمكن توصيفه بمثابة رهان سياسي (Enjeu politique) ينشده السياسيون، إذ نجد كل مساعي الأنظمة السياسية تتجه لاحتوائها والسيطرة عليها، لذلك تعمل على توجيهها وفق ما يخدم توجهات وأغراض نظمها. و في هذا عمل مارسيل غوشيه على تحليل مدى التأثير الذي تمارسه وسائل الإعلام في السياسة. باعتباره أحد المدافعين الشرسين عن الديموقراطية والحريات الفردية التي عرضها في كتبه، "**نشأة الديمقراطية** "، و، "**الدين و الديمقراطية**" ، أو من خلال حضوره المكثف في وسائل الإعلام. فالديموقراطية عنده مفتاح لحل كل المشكلات. أين ركز في البداية على صنف وسائل الاعلام في خانة المعارضة السياسية التي عادة ما تمارس فعلها السياسي ضد السلطة الحاكمة. وفي هذا الصدد يقول، « سأعاين بداية تحولات السلطة المضادة التي تمثّلها وسائل الإعلام وسأتفحص بالتالي، تشظّي الفضاء العام، الذي يبدو، واقعاً تحت تحريضها، وفي ذلك ميل جنيني، ولكن يمكن أن يصير، انطلاقاً

من الإنترنت إحدى المشكلات الأساسية، لعمل الديمقراطيات .» (مارسيل غوشيه 2006، ص30) و أثناء هذا التحليل الذي يقدمه غوشيه لوسائل الإعلام نجده يسخر من الفكرة الشائعة التي تميل إلى إدانة هذه الوسيلة دوما بعدّها سلطة، إذ يعتبر ذلك وسيلة لكسب الجماهير. ففي نظره إذا ما أردت أن تكسب مجموعة صغيرة من الناس، فما عليك سوى إدانة سلطة وسائل الإعلام، فهو من جهة لا ينفي كونها تحمل سلطة، فهي تمارس سلطة، لأنها تستطيع عرقلة السلطات، ولكنها من جهة أخرى ليست سلطة، فوسائل الإعلام هي سلطة مواجهة، وجدت لضبط السلطات بقدرتها على المراقبة التي تعطي المواطنين وسائلها. نستطيع القول حينئذ أنّ وسائل الإعلام، ٍ لا تشكل البنية التحتيّة للمسار الانتخابي، بنقلها إليه قنواتها الحيويّة ٍ للتحرك بالممثِّلين والممثَّلين ولكنها تشكل في آن ذاته، بنيته الفوقية، وسأتجرأ لأقول تقريباً أناه الأعلى . (مارسيل غوشيه 2006، ص30) هذا التوجه الذي يدعوا إليه غوشيه يبين أنه ضد ذلك الوصف الذي يركز على وسائل الإعلام باعتبارها سلطة إدانة يلجأ إليها كلما دعت الحاجة لكسب ود الجماهير.

و من زاوية أخرى يراها تمثل السلطة العليا. و كأن به يوافق الفيلسوف الفرنسي ريجيس دوبري الذي يرى الميديا سلطة السُلطْ. و لذلك يقدم لنا غوشيه اقتراحين يحددان هوية وسائل الإعلام فهي : 1- سلطة، أو لأكون دقيقاً تماماً، هي تمارس تأثيرات السلطة. 2 . كما أنها ليست سلطة. و ذلك بالقياس الى أربعة معايير بسيطة وهي : - كونها لا تصدر عن الدستور، كما أن سلطتها تمارس على نحو غير رسمي. - هي أيضا متعددة ومبعثرة في حين أن السلطات، مركّزة ويمكن تعريفها. فالقسم الأكبر منها الآن، ملك القطاع الخاص، ويخضع لمنطق الشركة والربح.- أخيراً ليس لوسائل الإعلام، القدرة على الالتزام، رغم أنّ ما يعرف عن «السلطات» بالمعنى السياسي أنها تحتكر العنف الشرعي و تمتلك القدرة على

احتجاز الأشخاص وإخضاعهم، بوضعهم في السجن على سبيل المثال.. بينما وسائل الإعلام لا تمتلك هذه الوسيلة. (مارسيل غوشيه2006 ص30). ويفهم من هذه الدعوة أن غوشيه لا ينفي حيازة وسائل الإعلام للسلطة انطلاقا مما تقوم به أثناء بث رسائلها على الجماهير، غير أن هذه السلطة بحسب رأيه ليست دستورية و ليس لديها القدرة على الالتزام. ويمكن هنا استحضار واقع أمريكا حيث نجدها تهتم بدور وسائل الإعلام في توجيه الحياة السياسية، فقد شكلت وسائل الإعلام عندها، ومنذ اللحظة الأولى لوضع الدستور الفيدرالي منبرا رئيسيا للحوار والجدل السياسي وتنوير الرأي العام بالأفكار. أين يتم فبركة الانتخابات والشاهد على ذلك ما تقوم به بعض المؤسسات لترويج وتسويق معجون أسنان جديد، وهي في الأصل تستعمل عادة نفس الأساليب لتسويق أي مرشح في الانتخابات. ومثل هكذا وضع سلبي تنوط به وسائل الإعلام جعل الفيلسوف الألماني ماركيوز Herbert Marcuse(1898-1979) يعلن عن امتعاضه من كل سلطة سياسية ونظام يفرض نظراته الأخلاقية المعارضة لروح التمرد والمقاومة والثورة، وتدفع الإنسان إلى روتين العمل المستغل، كونه العنصر المثبط له في ضوء عبودية الأمل، بحل التناقضات الاجتماعية فحسبه « الناس يعلمون أو يشعرون بأن إعلانات الدعاية والبرامج السياسية ليست بالضرورة صحيحة أو صادقة، ولكنهم عاكفون مع ذلك على الاستماع إليها وعلى قراءتها بل منقادون لها ولإيحاءاتها» (علي حمد إبراهيم،2023، موقع إلكتروني) أما اللحظة الفاصلة في تحديد هذا النمط من الاستهلاك المعمم فهي عنده لا تعبر عن رغبة حقيقية، بل رغبة زائفة يفرزها المجتمع الحداثي بوسائل الإشهار والإعلام والسينما، لتربطهم ربطا غريزيا بالنظام، إذ كلما ازدادت الوفرة الإنتاجية وارتفعت معدلات الأرباح كلها، زادت الحالة الإنسانية للفرد اغترابا. لأجل ذلك تستخدم جهازا إعلانيا ضخما. و هو الصحافة ووسائل الدعاية والشاشات التي تعمل تحت تأثير الامتثالية . وإذا ما

مارسيل غوشيه من تفكيك سلطة الدين الى تفكيك سلطة وسائل الاعلام

أردنا الوقوف على أحد هذه الوسائل و هو التلفزيون نجد الفرنسي ريجيس دوبري يراه يلعب دورا كبيرا في توجيه الجموع بالنظر لما يمتلكه من قدرة على البثّ حيث أصبح أداة مثالية لدى المتحكمين بالأصداء والإدراكات فيحولهم لأسياد التاريخ. وكأن بالتلفزيون يقوم ببرمجة سابقة لعقول المتلقين و هذا الوضع المحول لموقع الإنسان أمر دبرا بليل، من قبل الشركات الرأسمالية التي تسوق باستمرار منتوجاتها عبر هذا الجهاز، فتستهلكها العقول قبل الأجساد. ويمتد التأثير الممارس من قبل وسائل الإعلام خاصة، والميديا عامة، نحو أفول المعنى الذي يحل محله الزيف. كما أن وسائل الإعلام تعيق الديمقراطية أكثر مما تخدمها، لأن الديمقراطية تقوم على السوق الحرة للأفكار وعلى الرأي والرأي الآخر، الأمر الذي فشلت وتفشل وسائل الإعلام في تحقيقه على أرض الواقع. وهذا ما يوضح أن السياسة تحولت بفضل وسائل الإعلام إلى رهينة للمؤسسات المالية العالمية. غير أن رد مارسيل غوشيه على مثل هكذا أفكار سرعان ما طفى على للسطح، أين نفى فيه امتلاك وسائل الإعلام لسلطة سحرية، بإمكانها من خلالها اقتحام العقول وقولبتها. اعتبارا من أن مواد موضوع التعبئة، هي أكثر مقاومة بكثير مما كنا نعتقد. و مع ذلك نجده يعترف بأن الوظيفة الحقيقية لوسائل الإعلام، في المجال العام، هي تحديد جدول الأعمال الجماعي .

ويمضي في رفضه إلى رمي السهام على هذه الوسيلة بقوله « ليست وسائل الإعلام المحطة الواضحة المعالم للإيديولوجية السائدة، ليست أداة دكتاتورية السلعة، ولا أفيون الشعب الجديد، ولا آلة لإفساد عقول الجماهير. » (مارسيل غوشيه 2006، ص 30) ، لكن هذا الموقف الناقد لبعض الأفكار التي دأبت على رمي كل سهامها نحو وسائل الإعلام سرعان ما يوافقهم مارسيل غوشيه في بعض الجزئيات التي أراد من خلالها بيان وجود مظهر سلبي في هذه الوسائل من حيث أن صُناعها بحسب قوله« لا يقولون للمواطنين، وللأشخاص ما ينبغي عليهم

التفكير فيه فقط ، ولكنهم يقيمون تراتبية للمسائل، يميّزون ما هو مهم ، وما هو غير مهم ، وما هو في المخطط الأول، وما هو في المخطّط الثاني، إنهم يضعون قواعد لحالات الطوارئ، التي هي في ذاتها إخضاع كبير للعمل العام. يمكن أن نعتقد أن مسألة معينة هي موضوعياً شديدة الأهمية ولكن في الواقع، على أي مسؤول، على أي درجة كان، أن يبدأ بالدرجة الأولى، بمناقشة الملف الذي يفرضه عليه، جدول الأعمال الإعلامي كأولوية. » (مارسيل غوشيه 2006، ص24) . و نعثر لنا في أحد المواقف التي صرح بها مارسيل غوشيه أثناء عرض الرئيس الفرنسي ماكرون ترشحه للرئاسة، أن هذا الأخير لم يكن معروفا، بل وسائل الإعلام هي من صنعته فلا أحد كان يعرفه، فحتى هو لا يعرف نفسه، فهو فقاعة هواء استفاد من الظروف الراهنة. وهي السخرية ذاتها التي ساقها "ميشال أونفري Michel Onfray (1959-؟) " مفادها أن ماكرون لا شيء لقد تم تصنيعه في الإعلام ومن جذبهم ليسوا مثقفين .

4.3. وسائل الاعلام وأفول المعنى:

إن تأثيرات الميديا، ومن ورائها وسائل الإعلام على المجتمع، لم يقتصر على الشق السياسي فحسب، بل امتدت لصناعة واقع مزيف، يفضي لأفول المعنى، ففي قراءة بارعة للفرنسي ريجيس دوبري حول وسائل الإعلام، توصل إلى أنها وبدلاً من الاستقطاب والتمركز الذين يفترض أنها تقدمهما لنا، عملت على إضفاء السطحية الواقع وتفريغه من المعنى، وجعلته عرضياً وزائلاً وزائفاً. و مع ذلك لا نستطيع الفكاك من تأثيرها السحري علينا. فما تتداوله وسائل الإعلام المرئي، ودور السينما وشاشات الأنترنت، والألعاب الإلكترونية، من صور ورموز تتعلق بأنماط معيشة افتراضية للفرد في عوالم افتراضية، أخذ يمارس وبصورة متزايدة ضغطاً كبيراً على الواقع الفعلي للفرد. وأصبح هذا الفرد يجتهد، ليتقمص هيئة الصورة التي انبهر بها، ووقع تحت تأثيرها. فالعالم الذي نراه اليوم في وسائل

الإعلام المأدلجة، ليس هو نفسه العالم الحقيقي في الواقع، فما نعتقد أننا نراه هو عالم سطحي، يتشابه فيه البشر الذين يسعون وراء مصالحهم الاقتصادية، و دليل ذلك البرامج التلفزيونية الأميركية، فهي آلية لتزييف وتشويه الواقع، إذ لا تسوق لنا إلا الفوضى والاضطراب في العالم غير الغربي. و لهذا غالبا ما تكون البرامج الإخبارية التي يبثها التلفاز هي أهم مصادر تلقي المعلومات عند عامة الناس. لكن الحقيقة الفعلية هي أننا أمام عالم مثخن "بالانفصالات الكبرى" انفصالات مع التاريخ وجذورنا والدين والثقافات القديمة، لنصل إلى مشهد "ميلاد إنسان جديد" سمته الفارقة هو أنه غير محدد، إنسان ليس لديه أصول ولا أرض ولا معتقدات، هويته الأساسية هو: الاستهلاك الاقتصادي. و لهذا لم تعد وظيفة وسائل الاعلام تقتصر على محاكاة الواقع الخارجي و تمثيله، مثلما كانت سابقاً، بل إنها أضحت وسيلة مهمة للإدراك ونشر ثقافة جماهيرية واسعة تتخطى محددات الهوية .

و قد كانت ملاحظات مارسيل غوشيه حول دعوة ريجيس دوبري التي ساقها في كتابه " حياة الصورة و موتها " معاكسة لما ذهب إليه دوبري، فقال « لا أعتقد، أننا شاهدنا موت الصورة، أو هبوط مستواها، ولكننا بالتأكيد نشاهد إعادة تشكيل جذرية لمكانتها ودورها، سأشير إلى مزيتي ـ لألحظ جدة هذه المكانة وهذا الدور. » (مارسيل غوشيه، 2006، ص24)

هذه المكانة الرائدة التي تحتلها هذه الوسائل في تلبية حاجيات الجموع، إنما كرستها الحداثة

وما تبعها من تطور تقني أبهر الإنسان، و جعله مقيدا بسلع تُعرض عليه، أقل ما يقال عنها أنها لم تترك رغبة إلا و حققتها . لكن دعوة غوشيه هذه تحمل في طياتها مغالطة تجانب الصواب من حيث إن الاتصال يفترض وجود حد أدنى من شروط التفاعل، وهو علاقة تبادلية بين مرسل ومستقبل، بحيث يتبادل

الطرفان الإرسال والاستقبال كما في الحوار بين شخصين، لكن وسائل الإعلام مرسلة فقط، دون أن تكون مستقبلة لرسائل مماثلة للتي ترسلها. فمع وسائل الإعلام الحديثة نشهد علاقة اتصال ذات طرف واحد واتجاه واحد، وبالتالي فهي ليست علاقة اتصالية حقيقية . أضف إلى ذلك أنها تتصف بكونها رمز للشفافية لكونها تنقل بدقة ما يحدث في الواقع. غير أنها في الحقيقة تخفي عن الجمهور وسائل وطرائق تحرير الأخبار، التي تتدخل فيها كل العوامل السلطوية والأيديولوجية. فالشفافية ليست في نقل حدث ما، لأن الحدث ليس مادة خاما أبدا ولا ينقل على صورته الأصلية أبدا باعتباره خاما، بل ينقل بعد التحرير والتلوين. و هنا تسقط صفة الشفافية عنها، فهي ليست متوافرة لأنها ليست شفافية الحدث، بل يجب أن تكون شفافية آليات نقل الحدث. صحيح أن الجمهور يرى الواقع على الشاشة، إلا أن ما يراه هو نتيجة لإخراج وتحرير ومونتاج. و عليه نجد أن كل ما يحيط بنا مجرد وسائط تحيل إلى الواقع لا الواقع نفسه حتى« أصبحنا نعيش في نمط إحالي من الوجود. »(أشرف منصور 2010م، الحوار المتمدن، عدد 3016) ، هذه السطوة المعلنة من قبل وسائل الإتصال وبرعاية النظام الرأسمالي تحت مسمى العولمة، قلبت الموازين ابستيميا، فبينما كان الإنسان هو من يصنع مفاهيم العالم الخارجي ومدلولاته، وجد من ينوب عنه في هذا العصر– وسائل الإعلام - و التي عملت على خلق مجتمعات تفضّل الصورة على الحقيقة، والنسخة على الأصل والتمثيل على الواقع . و تبعا لذلك تعد تكنولوجيا الإعلام نهاية لمشروع نظرية المعرفة الحديثة وللفلسفة الغربية ذاتها. فقد كان الفكر الغربي يلتف حول هدف أساسي، وهو أن تكون العلامة قادرة على الإشارة إلى عمق المعنى وجديرة بتمثيله، سواء أكانت هذه العلامة تصورا أو فكرة أو نظرية. أما الآن فقد حلّت الصورة محل أي علامة أخرى يمكن أن تعبر عن المعنى أو الواقع. والحقيقة إن الإنسان المعاصر قد رضي

بأن يستعيض بالنسخة عن الأصل، وبما يحاكي الواقع عن الواقع الحقيقي. فالواقع بعدما أصبح مُصطَنعًا ومُزيَّفًا، أصبح عصيًّا عن الفهْم، ما دمنا لا نستطيع تمييز مظاهرِه الحقيقية عن المصطنعة. لذلك يقول الفيلسوف الفرنسي المعاصر بودريار « بدلًا من أن تُشير وسائل الإعلام إلى العالم الحقيقي، نجد أن أغلب ما تُنتجه يشير إلى صور أخرى.» (JeanBaudrillard1993 p154)، أي أنها تخلَّت عن كونها تُمثِّل موضوعًا محدَّدًا واقتصرت مُهمَّتها على الإحالة إلى صورٍ أخرى تَصطفُّ معًا لتُكوِّن موضوعًا مزيفًا لا علاقة له بالواقع الخارجي ،غير أن هذا الموقف السلبي إزاء وسائل الإعلام يرد عليه غوشيه بقوله « نستطيع منذ البداية استبعاد بعض الأفكار المحفوظة، فليست وسائل الإعلام المحطة الواضحة المعالم للإيديولوجية السائدة، و ليست أداة دكتاتورية السلعة، ولا أفيون الشعب الجديد، ولا آلة لإفساد عقول الجماهير . » (مارسيل غوشيه، 2006 ، ص30) ولعل هذا ما دفع به إلى الانتقال بالصحافة من "سلطة مضادة" عبوراً على "ما بعد السلطة"، ووصولاً إلى "السلطة المعادية" للسلطة. و في هذا خطر كبير على إمكانية استمرار الصحافة بحسب رأيه، لأنها ستفقد بالتالي دورها الأساسي، وسبب وجودها وهو أن تكون "سلطة مضادّة" لسلطةٍ قائمة. و عموما يعود التزييف الذي سيطال الإنسان المعاصر بالأساس إلى أن كل ما يحيط به من وسائط ووسائل يحيل إلى الواقع، و ليس هو الواقع ذاته، فقد رضي هذا الكائن بأن يستعيض بالنسخة بدل الأصل، وبما يُحاكي الواقع عوض الواقع الحقيقي .

5.3. وسائل الإعلام صناعة ثقافية:

من المسلم به لدى الكثير من المشتغلين بوسائل الاتصال تصنيف هذه الأخيرة بكونها أدوات أساسية تلعب دورها في عملية التنشئة الاجتماعية، فنحن في النهاية ما تسوقه لنا وسائل الاتصال. فالفرد منا يقضي مدة طويلة أمام هذه الوسائط، والتي تمده بمعلومات وآراء ومواقف تساعد على تكوين مفاهيمه حول

العالم الذي يحياه . ومن جملة هذه المنتوجات ما يتعلق بالثقافة، وهذا هو الذي عمد غوشيه على تحليله، انطلاقا من تحليل الثقافة الجديدة للصورة، خاصة وأن صناعة الصورة هي الوجه الآخر لثقافة العولمة، إذ يجري في غفلة منا تعولم كل شيء بشكل يهدد الهويات الثقافية الخاصة بالشعوب (ونحن منها). الأمر الذي دفع بغوشيه إلى أن يخصص لها حيزا من دراساته، حيث يقول: « فإنني أختار فكرة الثقافة الإعلامية، هذا هو الدرس الذي أستخلصه من العمل الذي أنجزناه لبناء عددي مجلة Le Débat و من اتصالات من شتّى الأنواع ، مع مهني المجال و اختصاصيين في المسألة، التي كشفوها أمامي... - ويقصد هنا العددان المخصصان للميديا - فقد وصف وسائل الاعلام بكونها مخلوقات ثقافات، تتداخل فيما بينها، (ليس المقصود أن أنسب لها الحصرية، أو أي استئثار في هذا المجال) كما تضيف وسائل الإعلام إلى الثقافات الموجودة من قبل، جداول من المطالعة والثقافات، أي بالمعنى القديم والتقليدي، عادات عقلية مؤسسة على قيم، وعلى أنساق من المعايير والتقييم. إنها تضع قيد التداول، أنماطا لكشف الحقيقة: إنها تشجع مواقف، وتدخل تطلّعات، وتقترح نماذج سلوكات يتّسع تواترها ومكانها داخل مجتمعاتنا. » (مارسيل غوشيه 2006، ص25) ، و في ذلك إعلان واضح لقوة تأثيرها على المجتمع .

بالعودة لما تنتجه وسائل الإعلام على المستوى الثقافي، يقدم لنا غوشيه ثلاث نماذج ثقافية جديدة يراها تتدخل وتؤثر مباشرة في المجالي المدني والسياسي، وهي : أولا / ثقافة المشاهد: فالاستعلام والتسلية يقتضيان القيام بنشاط، لكننا الأخبار و التسلية أصبحت تأتينا اليوم من دون ترك المنزل. حيث هناك سهولة في الوصول إلى المعلومات، فمثلا من كان محبّاً للسينما بإمكانه اليوم مشاهدة ثلاثة أفلام في منزله، في ليلة واحدة، بينما كان في الماضي ينتقل الى دور السينما كي يراها وهو وضع أنتج لدى الفرد عدم الالتزام، وعدم التشارك فلا حاجة له بأحد

ليكون على علم بما يجري، وليكون حاضراً في عالمه. ففي الشق السياسي أصبح الفرد بإمكانه مشاهدة الحملات الانتخابية في منزله دون الذهاب للاقتراع . وثانيا / الثقافة المجانية: و التي ربطها غوشيه بمدى توفر المعلومات فحتى وقت قريب، كانت بمثابة سلع نادرة وغالية ومع تطور وسائل الإعلام المعاصرة، جعلتها وافرة ومجانيّة من وجهة نظر المتلقي، غير أنه من زاوية أخرى يخلق مشكلة، ذلك لأن المجانيّة، هي بالتأكيد طُعم من الناحية الاقتصادية، ما يقدم مجاناً وفي الواقع كلفته باهظة، يُدفع ثمنه بطرق أخرى، فوراء تلك السلع شركات عالمية تحتكر السوق. ثالثا/ ثقافة التجاور: ويربطها غوشيه بدرجة كبيرة بمستقبل السياسة، فقوة الصورة المتلفزة التي لا شبيه لها هي إرساء وساطة، ليس لها مظهر الوساطة، وساطة لا تُرى، إلى حد تترك لدينا انطباعاً أنها شفّافة، لكن في ذلك طُعماً . و هو ذات الموقف الذي تقدمه مدرسة فرانكفورت فهي لم توجه سهامها لتطور الثقافة الجماهيرية بقدر ما رفضت الشكل القمعي المحدد الذي تريده هذه الثقافة أو يتم فرضه عليها برعاية رأس المال الاحتكاري. فقد حالت وسائل الاتصال دون أن يسير التاريخ في مجراه الطبيعي الى درجة « أنها أفسدت عقول الجماهير، حتى أن البشر خاصة الطبقة العاملة قد تم استدراجهم إلى ثقافة الاستهلاك حيث انغمسوا في الثقافة السطحية والمبتذلة التي تقدمها الثقافة الشعبية، ومن ثم فقدوا الاهتمام بهوية طبقتهم. » (ايزابرجر، آرثر 2003، ص83). هذه الصنمية التي أرادها الرأسماليون تجلت بوضوح في **ثقافة التصنيع**، هذاالمصطلح الذي صاغه الفيلسوف الألماني وعالم الاجتماع تيودور أدورنو (1895-1973) .Theodor W Adorno، وقد صيغ هذا المفهوم في ضوء ثلاثة مقولات كبرى يتمحور حولها، أوّلها مفهوم "صنمية السلعة"، ثم مفهوم "التشيؤ (Réification) "عند جورج لوكاتش (G ,Lukacs) . وكذلك مفهوم"العقل الأداتي" على نحو ما صاغه الفيلسوف الألماني ماكس فيبر .M)

(Weberم) (1864-1920) ، وهذا ما لاحظه كذلك "ريجيس دوبريه" حين اعتبر حالة إنتاج أفلام العنف تعميما لثقافة القسوة، أمام تفكك مادة الثقافة العليا المفارقة على يد التقنية الحديثة. أما على المستوى القيمي ففقدان الذات لقيمتها، بعدما سلبتها منها وسائل الإعلام عبر منتوجاتها، وُجِهَ الإنسان إلى حالة صار فيها أكثر سلبية في المجتمع الصناعي فلا يتحرك، ولا يملك القدرة على المبادرة، مما زاده بعدا عن إنسانيته، منقادا و دون إرادة منه.

4. خاتمة:

مما تقدم، نصل إلى أن البحث في مقولة الميديا وما يرتبط بها من مفاهيم، على شاكلة وسائل الإعلام، هو بمثابة مسألة ذات صلة بموضوع التفكير في الفضاء العمومي في زمن العولمة فقد أحدثت وسائل الإعلام ارتجاجا في النّظام البصري المعاصر، لدرجة أنها غيّرت كيفية إدراكنا للعالم المحيط بنا. فلا يخفى على أحد أنه ومع بداية عصرنا الحالي كشفت الميديا ومن ورائها وسائل الإعلام عن أعمق أسرار الحداثة. وإذا ما عدنا إلى مقاربة مارسيل غوشيه حول وسائل الاعلام فهي تتجه بنا نحو مأزق أخلاقي يكشف هشاشة الوعي الجمعي، وتهالك تماسكه اجتماعيا، فقد عرفت هذه الوسائل تحولات هائلة وبشكل مضاعف، وخاصة السمعي والبصري جعلت سلطتها أقوى وفعلها في المجتمع أخطر. فحتى و إن سلمنا معه بدورها الايجابي في كثير من الأحيان، خاصة وأنها أدت إلى تبادل الخبرات بين الأفراد الذين تجمعهم نفس الاهتمامات، كما تعمل على توعية أفراد المجتمع بالمشكلات والقضايا المختلفة التي تشغل عقولهم. فإن وظيفة الصحفي في الأصل هي الكشف عن الفساد وفضحه، و ذلك دليل على صلة الإعلام بالأخلاق، مما يتوجب على رجال الاعلام أن يكونوا منسجمين مع أنفسهم، بالنظر إلى أن هدفهم احترام المعايير الأخلاقية للسلوكات التي يطلبون من غيرهم إتباعها.

مارسيل غوشيه من تفكيك سلطة الدين الى تفكيك سلطة وسائل الاعلام

ومنه يمكننا وضع الضوابط التالية التي وجب عليهم مراعاتها مثل :**الصدق و الأمانة**، خاصة في نقل الأخبار بتقرير أمور واقعية، حدثت بالفعل، كما يجب على الصحفي **الالتزام بالموضوعية** في نقل الأخبار، و يقصد بالموضوعية عرض المادة الإعلامية بشتى جوانبها. زيادة على **احترام حق الخصوصية**، لأن تجاوزها يعد شكلاً من أشكال الاعتداء عليها إذا ما تم من دون موافقة صاحبها. و منه فالإعلام الجيد هو الذي يقدم صورة صادقة وموضوعية عن الواقع، صورة تمكن المتلقي من الحكم على ما يدور حوله في العالم بشكل صحيح. خاصة

و أن وسائل الإعلام قد حلت حاليا مكان المدرسة، فهي الجهاز الأيديولوجي الأول الذي صعّب علينا التمييز بين ما إن كان نافعا أو ضارا، أو خيّرا أو شريرا، ففي فرنسا ما يقارب العشرة أشخاص من أصحاب المليارات، يمتلكون وسائل الإعلام ساهمت في معظمها مؤخرا بإيصال إيمانويل ماكرون إلى سدّة الحكم، فقد تم ترتيب كل شيء لإعداده كمرشح للرئاسة، فكانت الحملة الإعلامية الضخمة بدعم هؤلاء، الوسيلة المثلى في ذلك. فقد صرحت بعض عناوين الصحف الفرنسية بأن " ماكرون مرشح وسائل الإعلام" .

قائمة المصادر و المراجع:

1. علي حمد إبراهيم2023، **الإعلام والسياسة والرأي العام**، موقع إخباري قطري يصدر عن دار الشرقhttps://al-sharq.com/opinion

2. غوشيه مارسيل (2007)، **الدين في الديمقراطية (مسار العلمنة)**، ترجمة شفيق محسن، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى.

3. محمد مخلوف 2023، **مارسيل غوشيه السياسيون سجناء قناعاتهم**، البيان صحيفة اماراتية الكترونية صادرة بتاريخ 04 أبريل 2014 : https://www.albayan.ae/books/author-book

4. محمد الكردي العدد 62، مع ريجيس دوبري، في كتابه "حياة وممات الصورة تاريخ النظرة في الغرب". مجلة فصول الالكترونية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص 249

5. غوشيه مارسيل،2015، **المعتقدات الدينية والمعقدات السياسية**. تر منوبي غباش .مؤسسة مؤمنون بلا حدود. http://www.mominoun.com//articles

6.ايزابرجر، آرثر2003، **النقد الثقافي، تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية**، ترجمة وفاء ابراهيم و رمضان بسطاويسي المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، مصر ، ط/ 1.

7. غوشيه مارسيل2006، **ضرورة التفكر بمجتمع وسائل الإعلام**، تر، صلاح عبد الله. محاضرة ألقيت في مركز «لقاءات العصر الجديد» مدينة ليل – فرنسا 2006

8. أشرف منصور، الفلسفة وأيديولوجيا الإعلام: إسهام الفكر المعاصر في دراسة وسائل الإعلام، الحوار المتمدن، عدد 3016، 2010م (http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp).

مراجع باللغة الاجنبية

1- Jean Baudrillard, J. Baudrillard Live: Selected Interviews (1982–1993). Ed. M. Gane

(London: Routledge, 1993) p. 145